فصل في

رؤيا أمـــه حين حملت به ﷺ

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت: يا نبي الله كيف كان أول بدء أمرك؟ .

قال ﷺ : « **دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام** » (١)

قلت : المقصود بدعوة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾ [البقرة: ١٢٩] ، وأمَّا بشرى عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهي قوله: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٢٦٢) والحاكم في المستدرك(٢ / ٦٠٠) وابن حبان في صحيحه برقم ٢٠٩٣ والطيالسي في مسنده برقم ١١٤٠ وابن إسحاق في السيرة (١ / ١٧٥) والبيهقي في دلائل النبوة (١ / ٨٤) وصححه العلامة الألباني –رحمه الله – في السلسلة الصحيحة برقم ١٥٤٥ .

فصل في
مولده الشريف ﷺ

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: (١)

قال ابن إسحاق: كان مولده ـ عليه الصلاة والسلام ـ عام الفيل.

وهذا هو المشهور عند الجمهور. قال إبراهيم بن المنذر الحزامي: وهو الذي لا يشك به أحد من علمائنا أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولد عام الفيل ،وبعث على رأس الأربعين سنة من عام الفيل اهـ.

والمشهور عند الجمهور أنه ﷺ ولد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول.

قلت: أما مولده يوم الاثنين فمحل وفاق بين العلماء، وقد دلَّ عليه حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: « **فيه ولدت وفيه أنزل عليَّ** » (٢).

وقد كفله ﷺ جدُّه عبد المطلب « فكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب وجدِّه عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه ينبته الله نباتاً حسناً لما يريد به من كرامته، فلما بلغ ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب » (٣).

« فلمَّا حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالبٍ بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته، فكان رسول الله ﷺ بعد جدِّه عبد المطلب مع عمه أبي طالب لوصية عبد المطلب له به، ولأنه كان شقيق أبيه عبد الله، وشبَّ رسول الله ﷺ مع أبي طالب يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أمور الجاهلية ومعائبها لما يريد من كرامته ، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءةً،وأحسنهم خلقاً،وأكرمهم مخالطةً،وأحسنهم جواراً ،

---

(١) السيرة النبوية (١ / ٢٠١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الصيام) باب(استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، والاثنين والخميس) برقم ١١٦٢ .

(٣) السيرة النبوية ابن كثير (١ / ٢٣٥).

وأعظمهم حلماً وأمانةً ، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم من الفحش والأذى.

ما رؤي ملاحياً ولا مماریاً أحداً حتى سمَّاه قومه الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة، فكان أبو طالب يحفظه ويحوطه وينصره ويعضده حتى مات »[1] .

قصة بحيرى الراهب :

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب - يعني بحيرى - هبطوا فحلُّوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب،وكانوا قبل ذلك يمرُّون عليه فلا يخرج إليهم ولا يلتفت إليهم ، قال: فنزل وهم يحلُّون رحالهم ، فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبي ﷺ فقال: هذا سيد العالمين.

(وفي رواية البيهقي زيادة: هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين) .

فقال أشياخٌ من قريش وما علمك؟.

فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجرٌ ولا حجرٌ إلا خرَّ ساجداً ، ولا يسجدون إلا لنبي ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه.

ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به وكان هو في رعية الإبل فقال :أرسلوا إليه ، فأقبل وغمامة تظلُّه ، فلما دنا من القوم قال : انظروا إليه عليه غمامة، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة ، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه قال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه.

قال: بينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه، فالتفت فإذا هو بسبعة نفر من الروم قد أقبلوا، قال: فاستقبلهم فقال: ما جاء بكم؟ .

قالوا: جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريقٌ إلا بُعث إليه ناسٌ، وإنَّا أُخبرنا خبره إلى طريقك هذه.

---

[1] المصدر السابق (١ / ٢٤٠ - ٢٤٩) .

قال: فهل خلفكم أحدٌ هو خيرٌ منكم؟.

قالوا: لا، إنَّما أُخبرنا خبره إلى طريقك هذه.

قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحدٌ من الناس ردَّه؟.

فقالوا: لا.

قال: فبايعوه وأقاموا عنده، قال:

فقال الراهب: أنشدكم الله أيكم وليُّه؟.

فقال: أبو طالب: أنا.

فلم يزل يناشده حتى ردَّه وبعث معه أبا بكر وبلالاً، وزوَّده الراهب من الكعك والزيت »[1]

قلت: وفي هذه القصة العظيمة من الفوائد ما يلي:

❁ عظيم عناية الله بعبده ورسوله محمد ﷺ.

❁ أن علماء أهل الكتاب كانوا يعرفون أوصاف نبينا ﷺ وعلامات نبوته قبل بعثته، بل وقبل مولده حسب ما يجدونه في كتبهم.

❁ أن مما علمه أهل الكتاب من أوصاف نبينا ﷺ أن الله يبعثه رحمة للعالمين.

---

(١) أخرج هذه القصة الترمذي في سننه (٤/٢١٦) كتاب (المناقب) باب (ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ) برقم ٣٦٢٠ وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٦١٥-٦١٦-٦١٧)، حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٢٤-٢٦)، وقال إن القصة مشهورة عند أهل المغازي.

وقال العلامة الألباني في صحيح السيرة ص ٣١ في الحاشية:

وإعلال الحديث بان فيه ذكر أبي بكر و بلال، وكان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشر إنما هي دعوى مبنية على أن عمره ﷺ يومئذ ثنتا عشرة سنة، وهذا غير محفوظ فيه، فإنه إنما ذكره مقيداً بهذا الواقدي، والواقدي متروك متهم، فمن الممكن أن تكون القصة وقعت بعد ذلك بسنتين.

فلا يجوز إعلالها بمثل قول الواقدي المنكر. وقد بسطت القول في تصحيح الحديث والجواب عمَّا أُعِلَّ به في الرد على الدكتور البوطي ص ٦٢ – ٧٢، وذكرت سبعة من الحفاظ سبقوني إلى تصحيحه فراجعه. اهـ.

فصل في

أحوال النبي ﷺ قبل البعثة

وحفظ الله له من عبادة الأصنام وأمور الجاهلية

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله -: (١)

فصل في منشئه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومرباه،وكفاية الله له وحياطته وكيف كان يتيماً فآواه ، وعائلاً فأغناه.

قال محمد بن إسحاق: « فشبَّ رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية لما يريد من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خُلقاً ، وأكرمهم حسباً ،وأحسنهم جواراً ،وأعظمهم حلماً ، وأصدقهم حديثاً وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً ، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة اهـ.

عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: حدثني جارٌ لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ ـ أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول لخديجة رضي الله عنها : أي خديجة والله لا أعبد اللات والعزَّى ـ أوثان كان يعبدها أهل الجاهلية ـ والله لا أعبد أبداً ، قال: فتقول خديجة رضي الله عنها: خلِّ اللات خلَّ العزَّى » (٢) .

عن زيد بن حارثة رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ البيت ـ الكعبة ـ وأنا معه فطاف به وكان بالبيت صنمان أحدهما من نحاس،يقال لأحدهما:يساف، وللآخر: نائلة ، وكان المشركون إذا طافوا تمسحوا بهما، فقال النبي ﷺ : «**لا تمسحهما فإنهما رجسٌ**، قال: فقلت في نفسي:لأمسحهما حتى أنظر ما يقول، فمسحتهما ، فقال:**يا زيد ألم تنه؟**» (٣) .

---

(١) السيرة النبوية (١ / ٢٥٠) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤ / ٢٢٢) ، وسنده صحيح .

(٣) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٣ / ٢٨٣) وغيره ، وسنده حسن .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما بنيت الكعبة كان النبي ﷺ ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره، فقال له العباس ـ عمه ـ يا ابن أخي لو حللت عليك إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة. قال فحلَّه فجعله على منكبه فسقط مغشياً عليه قال: فما رؤي بعد ذلك اليوم عرياناً »[١].

وعنه رضي الله عنه قال: لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ والعباس ينقلان الحجارة رضي الله عنهما فقال العباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك، فخرَّ وطمحت عيناه إلى السماء، فقال: إزاري إزاري فشدَّ عليه »[٢].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في فتح الباري:[٣]

فيه أنه ﷺ كان مصوناً عمّا يستقبح قبل البعثة وبعدها . اهـ.

وكان أهل الجاهلية من كفار قريش إذا حجوا لم يقفوا مع الناس في عرفات، بل يقفون في المزدلفة لأنها من الحرم، وكانوا يقولون نحن أهل الحرم فلا نقف في الحل ـ يعني في عرفة ـ، وكان يقال لهم الحُمس، لحماستهم وشدتهم في دينهم، فكان من توفيق الله لنبيه ﷺ قبل البعثة أنه لا يقف مع قومه إنما يقف مع سائر الناس في عرفات حيث يريد الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: أضللت بعيراً لي فذهبت أطلبه يوم عرفة فرأيت النبي ﷺ واقفاً بعرفة فقلت: هذا والله من الحمس فما شأنه هاهنا »[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (كراهية التعري في الصلاة وغيرها) برقم ٣٦٤ ومسلم في صحيحه كتاب (الحيض) باب (الاعتناء بحفظ العورة) برقم ٣٤٠ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الحج) باب (فضل مكة وبنيانها) برقم ١٥٨٢ ومسلم في صحيحه كتاب (الحيض) باب (الاعتناء بحفظ العورة) برقم ٣٤٠ .

(٣) (١/٥٥٦) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الحج) باب (الوقوف بعرفة) برقم ١٦٦٤ .

فصل في

رعي النبي ﷺ الغنم قبل البعثة
وكذلك سائر الأنبياء، والحكمة من ذلك

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم** » فقال أصحابه: وأنت؟ ، فقال: « **نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكّة** »(١).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح:(٢)

قال العلماء: والحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرُّن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم،ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم من الحلم والشفقة،لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح،ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق،وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة، ألفوا من ذلك الصبر على الأمة وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها،فجبروا كسرها ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها ، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة ، لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الأغنام.

وخصَّت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها ، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر ، لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة ، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقيادا من غيرها.

وفي ذكر النبي ﷺ لذلك بعد أن عَلِمَ كونه أكرم الخلق على الله ما كان عليه من عظيم التواضع لربِّه ، والتصريح بمنته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء ـ صلوات الله عليه وعلى سائر الأنبياء ـ . اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإجارة) باب (رعي الغنم على قراريط) برقم ٢٢٦٢ .
(٢) (٤/٥١٦) .